الأغْرَاضُ الاقْتِصَادِيَّةُ وَالاسْتِثْمَارِيَّةُ فِي مَجَالِ تَعْلِيمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلنَّاطِقِينَ بِغَيْرِهَا

(المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية بعنوان: الاستثمار في اللغة العربية، ومستقبلها الوطني والعربي والدولي، في المدة من 7 إلى 10 مايو 2014م، الموافق: 8 – 11 رجب 1435 هـ)

إعداد : د. فكري عبد المنعم النجار

جامعة الشارقة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية.

1435 هـ - 2014 م

[البحث الأصلي]

بسم الله الرحمن الرحيم

الأغْرَاضُ الاقْتِصَادِيَّةُ وَالاسْتِثْمَارِيَّةُ فِي مَجَالِ تَعْلِيمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلنَّاطِقِينَ بِغَيْرِهَا

إعداد : د. فكري عبد المنعم النجار

الْبَحْث

مـقـدمـة :

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد، فإني أعتقد وأقرر – بادئ ذي بَدْءٍ - أن اللغة العربية لغة شريفة لطيفة سامية المقام، تمتاز بخصوصيةٍ تعزُّ على كل اللغات..إنها لغةُ القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. ولكنني في الوقت نفسه لا أرى مانعًا من البحث عن مجالات استثمارية واقتصادية تتعلق بها. ومن أهم هذه المجالات مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وما يتوفر له من خدمات استثمارية وإمكانات اقتصادية، وما يتطلع إليه من دوافع وأغراض في حياتنا العربية، وهذا هو محور هذه الدراسة.

أقول هذا الكلام؛ لأنه ربما يعترض بعض مَن سيقرأ هذا البحث رافضًا موضوعه بحجة أن اللغة العربية لغة مقدسة لا يصح أن نتعامل معها على أنها (سلعة) تباع وتُشْتَرى في أسواق الاقتصاد والأموال. وإن صحت هذه الاحتمالية فهي وجهات نظر يجب احترامها في سياق البحث العلمي، ولكن هذا الأمر لا يقلل من شأن اللغة العربية – وأي لغة أخرى - ، فربط اللغة بالاقتصاد قد يسهم في رفع شأنها، ويسهم في سرعة انتشارها، بل ربما يحقق لها مكاسب أدبية ودينية وعلمية وغير ذلك.

ولقد أدرك الإنجليز والأمريكان – مثلا – حقيقة اللغة وأهميتها في زيادة الدخل القومي، والنمو الاقتصادي، والتطور الحضاري فشرعوا جاهدين لنشر لغتهم في الأقطار العربية، وغيرها من كل دول العالم، حتى غدت اللغة الإنجليزية مصدرًا من مصادر الثراء لديهم، وساعدتهم في حل مشكلات كثيرة، وأهمها مشكلة البطالة. وعلى العرب أن يسيروا في الاتجاه نفسه ناشرين لغتهم بين الأجانب لتحقيق أكبر عائد ممكن للأمة العربية على المستوى الاقتصادي أو غيره من خلال التوسع في برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، ووضع الخطط والأهداف المناسبة لذلك، والإفادة من مناهج الآخرين التي أقاموا عليها إنجازاتهم الحضارية.

وليس الجانب الاقتصادي أو الاستثماري في اللغة العربية جديدًا عليها؛ فقد كانت المنطلق الاقتصادي في كل تحركات العرب قديمًا، قبل الإسلام وبعده، وقد تمثل ذلك في مواكبة النشاط اللغوي: كالشعر، والخطابة، وغيرهما للنشاط التجاري في الأسواق العربية القديمة. وقد ساير هذا الجانب اللغة العربية في كل العصور المتتالية، وخاصة في العصر العباسي الذي ازدهر فيه غرض المديح الشعري، وحقق الشعراء من ورائه أموالا طائلة من خلال ما عُرِف في التاريخ الأدبيّ بـ (ظاهرة التكسب بالشعر) التي شكَّلَتْ " مظهرًا عمليًّا، وسلوكًا بدا فيه الشعر قولا من أجل المال، ووسيلة أولى من وسائل إحرازه وجمعه، وبدا هذا السلوك ظاهرة شبه عامة برزت إلى الوجود منذ الجاهلية الأخيرة، ثم سارت نحو الاتساع واستفحلت –لا سيما منذ القرن الثاني – فحوَّلت الشعر إلى تجارة وحَدَثٍ اقتصادي، والقصيدة إلى وسيلة تبادل، والشعراء إلى فئة عاملة كأصحاب أي صناعة يرتزقون ويتنافسون كلٌّ بحسب طبقته واسمه..."[1].

وقد عُرِفَ عن الشاعر الكبير أبي تمام أنه نال حظوة عظيمة من خلال الشعر، وحصّل كثيرًا من سَنِيّ الجوائز، حتى قيل عنه: "ما كان أحد من الشعراء يقدر أن يأخذ درهمًا في حياة أبي تمام بالشعر فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه"[2].

إن حُبَّ الشعراء للمال جعلهم يستثمرون شعرهم في "بورصة" القيم الشعرية، وكانوا يسعون إلى أن يكون لشعرهم " سعرٌ " كأي بضاعة. وإذا كان هذا المال أول متسبب في شعر المدح التكسبي فإن بعض الشعراء قد تجاوز ذلك إلى صناعة الشعر لغيرهم بأجر، ومن هؤلاء الشعراء: أبو العتاهية، ومنصور النمري، والبحتري، وابن الرومي[3]. والغريب في الأمر أن بعض الشعراء قد صنعوا الأشعار والقصائد الجاهزة بصورة مسبقة، وينتظرون بها من يقولونها فيهم، واستمع إلى قول الأصفهاني: "حدّثني أبو

المستهل، قال: دخلتُ يومًا على سلم الخاسر، وإذا بين يديه قراطيس فيها أشعار يرثي ببعضها أم جعفر، وببعضها أقوامًا لم يموتوا، وأم جعفر يومئذ باقية، فقلت له: ويحك، ما هذا؟ فقال تحدث الحوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها ويستعجلوننا، ولا يجعل بتًّا أن نقول غير الجيد، فتعدّ لهم هذا قبل كونه، فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلناه فيه قديمًا على أنه قيل في الوقت"[4]. إن مثل هؤلاء الشعراء قد تعاظم لديهم شأن المال، فاتجهت عقليتهم نحو " تثمير" شعرهم والتكسب من ورائه.

وإذا رجعنا إلى الوراء حتى العصر الجاهلي، وتقدمنا قليلا نحو بداية صدر الإسلام سندرك أن مكة قد أصبحت منذ أواخر القرن السادس الميلادي أهم مدن الجزيرة العربية اقتصاديًّا، وقلب تجارتها النابض، وقطب التجارة المشرقية، واستطاعت التجارة المكية أن تستفيد من وضع دوليٍّ جديدٍ هو وضع التراجع الاقتصادي لامبراطوريات الساسانيين والروم والأحباش، وأن تستغله لفائدتها. وأسهم النظام الاقتصادي المكيّ في تغيير معطيات التاريخ العربيّ والمشرقيّ عامة. وإذا كانت مكة معلمًا دينيًّا تعبديًّا لدى العرب فإنها قد تحولت إلى حاضرة تجارية مضمونة؛ نظرًا لسلامة زوّارها الآمنين في منطقة البيت الحرام. وكان لـ (هاشم) جدّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - أثرٌ بالغ في تحقيق هذا الأمن؛ إذ أمَّن عبور القوافل بما عقده من عهود مع الحبش والفرس والروم والقبائل غير الموالية لقريش[5]، ولعل هذا هو معنى (إيلاف قريش) المذكور في قوله تعالى: {لِإِيلافِ قُرَيْشٍ, إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ, فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ, الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}. [قريش:1-4].

وقد اتخذت قريش - وهم عنوان الفريق التاجر من العرب كما يرى الأستاذ سعيد الأفغاني[6] - في مكة بعض التدابير الأمنية الأخرى لإنجاح تجارتهم الصاعدة بأن أشركوا فيها غيرهم من أبناء القبائل الأخرى، فعقدوا (حلف الفضول) الذي يقضي بحماية الفقراء في مكة، وتقديم (الرِّفادة) للحجيج الفقراء، وجَبْرِ كل غريب محتاج، وقرر (هاشم) جد الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يعطي الفقراء نصيبًا من الأرباح لقاء أعمالهم، ولكن رغم ذلك فقد حدثت خروقات عظيمة في الجانب الاقتصادي المكي قبل الإسلام، أنتج (ظاهرة الصعلكة)، وحروب الفجار، وظهور ما يسمى بالنسيء[7]...، ولذلك كان الإسلام خير حل لمعالجة المشاكل الاقتصادية لدى العرب، ومَنْ يتأمل القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية المطهرة، و(كُتُب الأموال) يتأكد له ذلك خير تأكيد من الناحية الفقهية، أو التشريعية، أو الفكرية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية. وقد جعل الإسلام حفظ المال أصلا من أصول الدين كحفظ النَّفس.

وقد جعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فداء الأسرى من كفار قريش في غزوة بدر(2هـ) تعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة، و كان بدل الفداء من الغنائم، وهي ملك للمسلمين، ولكن الرسول استبدل بالمال – أيًّا كانت صورته – اللغةَ العربية ممثلة في تعليم القراءة والكتابة، وهذا استثمار مهم للمسلمين في هذا الوقت، وكان القرار حكيمًا وسديدًا؛ لأنه أعلى شأن اللغة.

وإن المتأمل في مصنفات النحو العربي التعليمي من منتصف القرن الثاني الهجري حتى منتصف القرن التاسع الهجري يجد أن تعليم النحو كان وسيلة من وسائل التقرب إلى الله بخدمة لغة كتابه، وكان أيضًا سببًا من أسباب الارتزاق في مجتمع يحتاج دائمًا إلى هذا النحو العربي لفَهْم كتاب الله وسُنَّة رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم-[8].

وفي هذا السياق لا يمكن أن أنسى (أسواق العرب) التي " كانت تزخر بالناس من تجار وصناع، وأدباء وشعراء وخطباء، وساسة وأشراف ..."[9]. إذ أثَّرَت التجارة في ألفاظ اللغة، ويُلاحَظ في هذا الباب "غنى اللغة بالألفاظ التي تتعلق بالأسفار وما إليها من حط وترحال ونزول على الماء ووصف لدواب السفر وضروب سيرها, [كما يُلاحَظ أيضًا أنَّ] أكثر القصائد في الجاهلية والإسلام يفتتحها صاحبها بذكر رحلته وما لاقى فيها هو وراحلته من التعب والشقاء والضيق والعطش والجوع، عدا ما هناك من ألفاظ كثيرة تتعلق بالبيع والشراء والصفقة الرابحة والخاسرة. ولما كانت الخلافة، لم يجد العرب لفظًا يدلون به على بذل الطاعة للخليفة غير (المبايعة), فاشتقوا لهذه الحال المستجدة كلمة من كلمات التجارة التي كانت الشغل الشاغل لهم"[10]. أو أنهم ساروا على نهج القرآن الكريم حين عبَّر بهذه الكلمة التجارية عن معاهدة الصحابة رسولَ الله يوم الحديبية على الثبات, وعدم الفرار بقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ...

}[الفتح: 10], وسميت البيعة بيعة الرضوان, وهناك أيضا بيعة النساء": {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ... }[الممتحنة: 12].

وكما تأثرتْ قصائد العرب بفكرهم الاستثماري والاقتصادي تأثرتْ كذلك أمثالُهم وحِكَمُهم، ومن ذلك: خير المال عين ساهرة لعين نائمة, ولم يضع من مالك ما وعظك, وخير مالك ما نفعك, والحمد مغنم والذم مغرم, ومن العجز نُتجت الفاقة, وكلب طواف خير من أسد رابض, وما عنده خير ولا مَيْر, وسواء هو والعدم, والبضاعة تيسر الحاجة ومن اشترى فقد اشتوى, وإن الجواد عينه فراره, وأعطاه اللقاء غير الوفاء, وأحشفا وسوء كيلة,... إلخ. وأما الشعر فمنه:

سأكسب مالا أو أموت ببلدة	يقل بها قطر الدموع على قبري
ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا	من المال يطرح نفسه كل مطرح
فسر في بلاد الله والتمس الغنى	تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا....إلخ

وهذا مجمل ما أردت أن أعرض له من بيان اهتمام العرب بالاقتصاد والمال ولم أقصد فيه إلى شيء من التطويل؛ لأن البحث ليس في تاريخ تجارة العرب أو استثماراتهم, وإنما يهدف إلى تسليط الضوء على (الأغْرَاضُ الاقْتِصَادِيَّةُ وَالاسْتِثْمَارِيَّةُ فِي مَجَالِ تَعْلِيمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلنَّاطِقِينَ بِغَيْرِهَا)، وحسبي هذه الإلمامة الموجزة في هذه المقدمة قبل الشروع في الموضوع لتتضح الصورة التي نريد أن يتمثلها القارئ الكريم فيما يأتي من مباحث.

المبحث الأول
أغراض تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

أود أن أشير إلى أن العالم العربي بما يملكه من قيم دينية وإمكانات اقتصادية وتأثيرات سياسية ومواقف اجتماعية وموارد طبيعية وفرص عمل وظيفية قد بدأ يأخذ دورًا فعالا وموقعًا متميزًا ومكانة لائقة في الخريطة العالمية؛ ومن أجل هذا بدأت تتجه إليه الأنظار من كل صوب، ويتطلع إلى الارتباط به كثير من الناس، كلٌّ بحسب اتجاهه وميوله ورغباته وأغراضه ودوافعه. ولأن اللغة العربية هي لغة هذا العالم العربي فإنها تأخذ خصائصه، ويسعى كثيرون إلى تعلُّمها من أجل تحقيق أغراض ودوافع متنوعة ومتعددة في مختلف الاتجاهات.

وتحديد الدوافع أو الأغراض أمر تربويّ مهم في قضية تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها؛ لأنه يتحكم في وضع الخطط والأهداف التي تنظم هذا التعليم، وكتابة المقررات التي تؤلَّفُ له.

ومجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها تتجاذبه عدة أغراض أو دوافع تؤثر فيه ويؤثر فيها، منها ما يأتي:

1 - الغرض الديني: وهو عام وشائع لدى المسلمين عامة من عرب وغيرهم، وهو غرض عاطفي يبغون من خلاله نشر اللغة العربية – لغة القرآن الكريم – بين غير المتحدثين بها من أجل فَهْمِ الإسلام والدخول فيه، ومن أجل فهم القرآن الكريم الذي قد تعجز الترجمة عن الوفاء بالمعنى المراد، فضلا عن أن المسلمين يؤدون به الصلاة، ويقبل المسلمون كذلك على تعلم العربية من أجل فهم الحديث الشريف، والفقه الإسلاميّ، والتاريخ الإسلامي وقد يكون هذا الغرض سببًا في إقبال الطالب على الدراسة في الكليات الشرعية، أو المعاهد الإسلامية ليعمل واعظًا دينيًّا فيما بعد.

2 - الغرض الثقافي: تعد اللغة العربية من أعظم ينابيع العِلْم والمعرفة والثقافة التي يمكن أن يغترف منها العالم بأسره؛ ولذلك فإن هذا الغرض الثقافي يشترك فيه عامة الناس من المسلمين وغير المسلمين كالمستشرقين وغيرهم، ومن العرب وغير العرب بغية التعرُّف على جوانب ثقافية معينة تتعلق باللغة العربية أو البيئة العربية عمومًا. فاللغة العربية بناء اجتماعي تحوي جدرانه ثقافة عربية أصيلة مبنية على

الحب والتسامح والسلام والإنصاف والعدل والمودة والاحترام وتعظيم حرمات البشر وغير ذلك. وتعليم هذه اللغة لغير العرب يسهم بقدر كبير في نقل هذه الثقافة إلى الآخرين، فيتعرَّفون علينا من الجوهر (ألا وهو اللغة) بدلا من أن نترك غيرنا يزيف صورتنا الجميلة، ويحاول محو هُويتنا الأصيلة، ولا يتم ذلك إلا من خلال محتوى لغوي سليم، ومعلِّمينَ أكْفَاء ينضحون بحب العربية، ويعشقون التراث العربي من أجل ترسيخ الهُوية وحفظ التراث. ويقوي هذين العاملَينِ عاملٌ ثالث يتمثل في المؤسسة التعليمية الناجحة، القائمة على المبادئ والأصول التربوية السليمة حتى تحقق المناخ المناسب لعملية التعليم. وأما العامل الأخير فهو يتمثل في مستوى الجمهور المستهدف، وهم الأجانب الراغبون في تعلم العربية، ولابد من رعايتهم حق الرعاية ، وضرورة الانتباه إلى مراعاة مستوياتهم واتجاهاتهم ورغباتهم.

3 - الغرض القومي: وهو الذي يتوجه إليه العرب من خلال تعليم لغتهم لغيرهم من الناطقين بلغات أجنبية من أجل الحفاظ على قوميتهم وهويتهم وكيانهم بين الأمم الأخرى واتخاذ الموقع المناسب في منظومة الدول والأمم العالمية. والعرب يدركون أن اللغة العربية هي أقوى الروابط القومية التي تربط بينهم؛ ولذلك فهم يسعون إلى المحافظة عليها، وإلى تعليمها غيرهم؛ لتظل حية بينهم، وعند غيرهم.

إن كل أمة تعتز بقوميتها، وتحافظ على هذه القومية بمحافظتها على لغتها، وأن تكون اللغة الأم هي لغة الدراسة والتعليم بصفة عامة، ولا نكاد نجد دولة غير عربية في الغرب أو في الشرق إلا وقد اهتمت بتعليم لغتها الأم، بل إن أصحاب بعض اللغات التي كادت أن تموت قد بعثوها من جديد، وعملوا على إحيائها.

4 - الغرض الاقتصادي أو الاستثماري: أشير - في هذا الغرض – إلى أن تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها قد أصبح محط اهتمامات حكومات الدول الكبرى، وخاصة تلك التي تريد أن تسيطر وتهيمن على معظم دول العالم كله. ففي الوقت الذي تريد فيه الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا – وغيرهما من الدول الناطقة بالإنجليزية مثلا – نشر اللغة الإنجليزية في جميع أرجاء العالم نجد الصين وفرنسا – وغيرهما – يسعيان إلى نشر لغتهما عالميًّا؛ وذلك من أجل مكاسب سياسية واقتصادية، وربما دينية أو ثقافية أو اجتماعية؛ فاللغات عمومًا تعد " ثروات اجتماعية"[11] تسهم في تدعيم الاقتصاد القومي ومساندته، وهكذا اللغة العربية التي أعتبرُها ((نِفطَ العرب الدائم))، أو ذَهَبَ الاقتصاد اللغوي الذي لا تنفد مناجمه.

كذلك أصبح تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها مهمًّا جدًّا لدى السياسيين ورجال السلك الدبلوماسي، ورجال المال والأعمال، والمنظمات الإنسانية والحقوقية، والناشطين الاجتماعيين، والاقتصاديين، والتربويين، وأنصار البيئة، وغيرهم، وما ذلك إلا من أجل تحقيق نجاحات كبرى من خلال التواصل اللغوي مع الدول العربية في إطار المصالح القومية المشتركة. ومن أجل رغبة البحث عن وظيفة أو عمل مناسب في البلاد العربية، أو من أجل التجارة كما يفعل الصينيون الذين يعملون بالتجارة ويتحدثون العربية مع العرب.

إن الوجه الاقتصادي أو الاستثماري للغة العربية لا يقتصر على كونها أداة التواصل والتفاهم ليس غير، وإنما يتمثل كذلك في جعلها تحيا وتستمر، ويوسع دائرة الهُوية العربية، ويجعل المنتَج اللغوي العربي سلعة رائجة في أسواق الاستهلاك اللغوي العالمية، كما أنه ينمي (حركة العرض والطلب) في هذه الأسواق. وأما الأسواق العربية – وخاصة في دول الخليج العربي – فقد انفتحت للعمالة الأجنبية الوافدة من كل دول العالم، ولا سيما دول شرق آسيا.

وفي ضوء تنامي ظاهرة الاستثمار في المجالات كافة في كثير من البلدان والأقطار تأتي الحاجة إلى ضرورة اتخاذ اللغة العربية موقعًا متميزًا في ميدان هذه الظاهرة لتحقيق أغراض اقتصادية ومالية يمكن وصفها بأنها دائمة أو غير منقطعة؛ نظرًا لحاجة كثير من الأمم إلى تعلُّم اللغة العربية وتعليمها. و"لا نكاد نجد دولة من الدول في الغرب أو في الشرق إلا واهتمت بتعليم اللغة العربية متمثلا ذلك في معاهد اللغات أو الاستشراق أو أقسام الدراسات الشرقية واللغة العربية في الجامعات، .... ، إن اللغة العربية بدأت تفرض نفسها بشكل قوي على برامج وزارات التعليم في بعض العواصم الأوربية..."[12].

5 – الغرض العسكري: ظهر الاتجاه إلى تعليم اللغة العربية لأغراض حربية أو عسكرية لدى الدول الكبرى الطامعة في خيرات الشرق العربي الإسلامي بعد بدء الحرب العالمية الثانية، وكانت أولى المحاولات متمثلة في " إعداد برنامج كامل لتعليم اللغة العربية في الولايات المتحدة عام 1947م في مدارس الجيش الأمريكي"[13]؛ لأن علماء الغرب ومفكريه كانوا مهتمين بتعلُّم اللغة العربية لفهم نفسيات شعوب الدول العربية، وأنماط تفكيرهم. ثم ظهرت في السبعينيات أزمة النفط التي قادت إلى تدفق المعرفة ورأس المال الغربي على البلاد العربية فزادت حاجة الغربيين إلى تعلم اللغة العربية لمعرفة المزيد عن الآخر في كل المجالات، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م التي نبهت الغرب إلى مواطن الخلل والقصور في دراسة اللغات الشرقية، ولا سيما اللغة العربية، فتوسعوا في تعلمها وتعليمها لأغراض عسكرية وسياسية واقتصادية[14].

وفي أمريكا مثَّلَ خطاب جورج بوش – بعد أحداث سبتمبر – في تدشين مبادرة تطوير المهارات اللغوية لدى الشعب الأمريكي علامة فارقة ومهمة في تاريخ تعليم اللغة العربية في الولايات المتحدة؛ لأنه ربط تعلمها بالأمن القومي للولايات المتحدة، ونتيجة لذلك زاد إقبال الأمريكيين على تعلُّم العربية بكثرة، حتى قُدِّرت نسبة الزيادة في أعداد الدارسين بـ 90% من الطلبة المنتظمين في دروس اللغات. وقد نشطت الجامعات الكبرى في إنشاء أقسام ووحدات للغة العربية، كجامعة جورج تاون التي افتتحت برنامجًا للغة العربية ولسانياتها[15].

ويطول الكلام في موضوع تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة[16]، فيمكن الحديث عن الأغراض الطبية، والأغراض الإعلامية، والأغراض السياسية، والأغراض السياحية، والأغراض المهنية، وغيرها. ولكننا نكتفي بما تحدثنا عنه خشية الإطالة، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

المبحث الثاني
تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في ظل الاقتصاد القائم على المعرفة

تعددت المصطلحات والمفاهيم التي تدور في إطار ارتباط الاقتصاد والمال والاستثمار بالمعرفة، ومن أشهر هذه المصطلحات: مصطلح الاقتصاد المعرفيّ، ومصطلح اقتصاد المعرفة، ومصطلح الاقتصاد القائم على المعرفة، والاقتصاد الجديد، والاقتصاد ما بعد الصناعيّ، واقتصاد المعلومات، كما يُطلق عليه أيضًا الاقتصاد الرقميّ. وكل هذه المصطلحات تدور حول مفهوم يحمل مضمونًا واحدًا يشير إلى أنه نوع من الاقتصاد الجديد الذي يقوم على إنتاج المعرفة، واستخدام ثمارها وإنجازاتها، ومن ثَمَّ استهلاكها بالمعنى الاقتصادي للاستهلاك، وبذلك شكلت المعرفة جزءًا من ثروة المجتمع المتطور. وأما الاقتصاد الرقمي فهو يعني التحول في مركز الثقل من المواد الأولية والمعدات الرأسمالية إلى التركيز على المعلومات والمعرفة، ويركز على المعلومات واستخدام شبكات الإنترنت في مختلف أوجه النشاط الاقتصادي، وخاصة في التجارة الإلكترونية[17].

ويبدو أن عددًا قليلا من الدول يلجأ إلى هذا النوع من الاقتصاد مقارنة بالاقتصاد الريعي الذي يسيطر على مجمل أوضاع العالَم وحركته التجارية[18]. وبدأت بعض الدول المنتجة للنفط - مثلا- تتحرك في كل الاتجاهات للخروج من دائرة طاقة النفط إلى آفاق اقتصاد المعرفة الذي يعد بديلا مناسبًا لتلبية احتياجات الاقتصاد الوطني للدول المنتجة للنفط مثلا، وهو خير بديل أيضًا لاستدامة النمو الاقتصادي بعيدًا عن خيارات النفط غير المستقرة.

ويشير د. محمد مراياتي إلى دور اللغة المهم في الاقتصاد والتنمية؛ إذ تشارك في صناعة المحتوى، وهو ما يولِّد فرص عمل للشباب وهذا شقّ كبير غير مدعوم في العالم العربي برغم أبعاده الكبرى في بقية دول العالم، وتوضع له سياسات وبرامج تنفيذية من الحكومات. كما يشير أيضًا إلى أنّ اللغة أداة في

الاقتصاد تلعب دور النقد تماما (المال)، وإلى وجود تطابق كبير جدًا بين سياسة النقد والسياسة اللغوية للدولة؛ لأن النقد أداة اقتصادية تسهّل تبادل الأصول المادية، واللغة هي أداة - كالنقد - حاملة للمعرفة. وشيوع اللغة العلمية في قطاعات الإنتاج يؤدي بالضرورة إلى نموّها وتنافسيّتها. كما يؤكد أنّ التنمية الاقتصادية تتناسب مع تراكم رأس المال اللغوي ورأس المال المادي، فاللغة والمحتوى ثروة اقتصادية، وهي نتاج عمل الجماعة، وتداول المعرفة يوازي تداول السلع في السوق[19].

ويمثل هذا الاقتصاد المعرفي رافدًا لتداول العربية الفصحى في ترويج سلعة عينية، أو عرض مسلسل أجنبي بالعربية الفصحى، وهي ما يُطلق عليها عملية الدبلجة، أو استخدام مراسلي الفضائيات للغة الفصحى، أو إقبال الممثلين والممثلات على إتقان الفصحى لاستخدامها في مسلسل تاريخي، أو ديني، أو اجتماعي مدبلج، وهذا يدر عليهم الأموال الطائلة[20]. وجدير بالذكر أن كل هذه الأنشطة الإعلامية تفيد الطلبة الأجانب الذين يدرسون اللغة العربية؛ إذ تفيدهم في تحقيق البيئة السماعية المناسبة، ومعروف أن اللغة مَلَكَة تُكْتَسب بالسماع وتقوى بالممارسة كما يشير إلى ذلك العلامة ابن خلدون.

وقد وُلِدَ الاقتصاد القائم على المعرفة من رَحِم العصر الحديث الذي نعيشه، والذي يموج بالتقدم العلمي والتقني في المجالات كافة، وخاصة في مجالَي تقنية المعلومات ونُظُم الاتصالات وما يتصل بهما من بحوث وتطبيقات متنوعة ومتعددة، وهو يختلف في كثير من سماته عن الاقتصاد التقليدي الذي ظهر بعد الثورة الصناعية. وفي ظله تحولت المعلومات والمعارف العلمية والأدبية إلى الشكل الرقمي، وأصبحت من أهم السلع في المجتمع، وصارت موردًا أساسيًّا من الموارد الاقتصادية فيه. وكذلك صار لرأس المال البشري دورٌ مهم في ظل هذا الاقتصاد.

وقد ظهرت نظرية (رأس المال البشري) على يد عالِم الاقتصاد التربوي"شولتز" الذي أكَّد من خلال البحوث والدراسات العديدة أن زيادة الإنتاج القومي ترجع أساسًا إلى التعليم والارتقاء بالقوى العاملة في سوق العمل تعليميًّا. ويرى"شولتز" أيضًا أن التعليم عملية استثمارية، وأن القدرة الإنتاجية للعمل هي وسيلة الإنتاج. فنحن نصنع أنفسنا ونبني قدراتنا، وفي هذه الحدود تعتبر الموارد البشرية وليدة الاستثمارات التي يتخذ فيها التعليم مكانًا بارزًا ومهمًّا[21].

حقًّا، إنّ الاستثمار البشري هو العنصر الأساسي والأهم في التنمية، بل إن التنمية في تحليلها النهائي هي تنمية البشر، وليست مجرد إنتاج السلع. وهذا يتوافق مع مجالات التعليم المختلفة، ومنها مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها الذي يتوجه مباشرة إلى تنمية البشر، والذي يتطلب اهتمامًا واسعًا بما يأتي:

- توسيع نطاق استخدام الحاسوب، وأجهزة التقنيات الحديثة (كالهواتف المحمولة مثلا) في مجال التدريس، والطباعة، والتواصل مع الدارسين؛ فـ" الأمية في قطاع الكمبيوتر لا تزال واسعة الانتشار عربيًّا، إذ أن 0.7% من إجمالي عدد سكان المنطقة العربية فقط تستخدم الإنترنت. كما أن 6% فقط من السكان العرب يستخدمون الإنترنت لأغراض التجارة الإلكترونية"[22]. وللحاسوب أهمية كبرى في تعليم اللغات عمومًا، واللغة العربية خصوصًا، منها[23]: زيادة الخبرات عن طريق كثرة التجريب، ازدياد دافعية الطالب نحو التعلم، وتقوية مهارات الطلبة اللغوية وتعزيز ثقتهم بأنفسهم، وتخفيض كلفة تعلم اللغة من خلال بعض البرامج والمواقع والكتب المجانية، وزيادة التفاعل مع الآخرين بواسطة البريد الإلكتروني ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، ومعالجة خجل بعض الطلبة من زملائهم، وتعدد مصادر المعرفة اللغوية إلى جوار المصادر التقليدية، وتوفير السياق الاجتماعي والثقافي للغة العربية. ولكن برغم هذه المميزات وغيرها فإن الحاسوب

– من وجهة نظري – لا يمكن أن يحل محل المعلِّم أو المحاضِر الذي يعد مِحْورًا رئيسًا في تعليم اللغات، وكذلك الكتاب الورقي أو الدفتر الذي يستخدمه الطلبة في تعلم الكتابة والقراءة.

- استخدام شبكات الإنترنت، ومحاولة استثمار برامج تعليم اللغة العربية المبثوثة عبرها، وكذلك الموسوعات، والكتب، والقواميس والمعاجم، والمجلات المختصة باللغة العربية للناطقين بها وبغيرها، وتوفير هذه المنابع القيمة لتعليم اللغة العربية، ومساعدة المعلمين والطلبة على توفير أوقاتهم. كما تساعدهم على معرفة مواقع معاهد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وتيسير الاتصال بهذه المعاهد، ومصممي البرامج، ومؤلفي الكتب، وغيرهم[24].
- إنتاج واستخدام برامج تعليم اللغة العربية الإلكترونية والألعاب اللغوية التي تناسب كل الأعمار والمستويات، وتلائم كل الأماكن الجغرافية، ومعظم اللغات الأجنبية؛ وذلك لتشجيع التعلُّم الذاتي المعتمد على التعلُّم المبرمج الذي يمَكِّن الدارس من تكرار عملية التعلُّم والاستمتاع بها، وسرعة المحاكاة والاستيعاب والأداء وتصحيح الأخطاء وغير ذلك.
- إنشاء معامل لغوية، ومختبرات صوتية، وغرف تدريس ذكية مجهزة بكل مستلزمات التدريس وتقديم المادة اللغوية المفيدة للطلبة، كالسبورة الإلكترونية، والسبورة العادية، والأقلام، والحاسوب، وجهاز عرض الشرائح، وجهاز التسجيل، والمكتبة الفصلية، وآلة التصوير الضوئي، والتلفاز، وجهاز الفيديو، وخريطة كبرى لكل دول العالم، ولوحات جدارية لأساسيات اللغة (كالحروف الهجائية بأوضاعها المختلفة داخل الكلمة، ورسوم لجهاز النطق الإنساني يبين بالألوان مخارج الحروف وصفاتها...) وغيرها مما تجود به مظاهر التقنيات الحديثة، بالإضافة إلى المقاعد المريحة، والطاولات المناسبة.
- النشر الإلكتروني باللغة العربية الذي يحقق فوائد عظيمة، منها[25]: سهولة البحث وسرعته للطلبة والمعلمين، واختصار الوقت والجهد، وإمكانية الاقتباس، وسهولة التخزين والحفظ مع الاقتصاد فيهما، وسهولة الطباعة، وسهولة إجراء الترجمة الآلية، وإمكانية تعديل وتحسين النشرات الإلكترونية، وغير ذلك. وقضية النشر باللغة العربية تقوي اللغة العربية، وترفع أسهمها في أسواق اللغات؛ ولذلك فإن العلماء الألمان اليوم يختارون النشر بالإنجليزية لقوتها، مع أنه يضعف على نحو مباشر قوة اللغة الألمانية في السوق العالمية، وأن اليابانيين عازمون وقادرون على تخصيص نفقات كبيرة من أجل أن يجعلوا الأفكار العلمية والأعمال الأدبية المنشورة في اللغات الأخرى متاحة في لغتهم[26].

إن اللغات - بصفة عامة - يمكن أن تعد مشروعات استثمار رأسمالي، بالمعنى الحرفي وليس بالمعنى المجازي. وأهم الاستثمارات التي تسهم في تحسين الانتفاع اللغوي، وتقوم على المعرفة هي ما يأتي:

١ - تصنيف المعاجم للاستعمال العام، وكذلك معاجم المصطلحات في مجالات محددة، أو متخصصة، ومن ذلك: معاجم اللغة، والمعاجم الثنائية، والمعاجم الموضوعية، والمعاجم التاريخية، والمعاجم الطبية، أو القانونية، أو الفلسفية، أو التاريخية، أو الزراعية، أو الإعلامية .... إلخ.

٢ - برامج معالجة نصوص اللغات البشرية آليًّا، وقد دعت إليها الحاجة في الآونة الأخيرة؛ لتكاثر المعلومات إلى الحد الذي يصعب على الجهود البشرية أن تتماشى معه

3 -الترجمة الآلية، وتعد الترجمة الآلية فرعًا من فروع اللغويات الحاسوبية يهدف إلى حوسبة هذه الوظيفة الحضارية وفق أطر معالجة اللغات الطبيعية آليًّا، عن طريق محاكاة العمليات الذهنية الأساسية التي يقوم بها الإنسان في تعامله مع اللغة، مثل: التعلم، والفَهم، والتلخيص، والترجمة، والقراءة، والتشكيل، والإعراب.

٤ - الذكاء الصناعي، وبشكل محدد إنشاء نظم المعلومات وبنوك المعلومات.

٥ - تحسين الاتصال بين الإنسان والآلة، أي تطويع لغات الكمبيوتر للغات الإنسانية[27].

وهذه الاستثمارات يمكن تطويعها بسهولة لمجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وهو مجال خصب في أشد الاحتياج إليها، وستؤتي أفضل النتائج وأطيب الثمار إن شاء الله إذا توفرت البيئة الاستثمارية المناسبة، وهذا ما سنتناوله في المبحث الآتي.

المبحث الثالث
أهمية الاستثمار في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

إن الأحداث التاريخية والأحوال السياسية والأوضاع الاقتصادية المعاصرة – على المستوى العربيّ والمستوى العالميّ – تفرض على المهتمين بالعربية ودارسيها أن يحاولوا الإفادة من هذا المعين الذي لا ينضب، وهو معين اللغة العربية. تلك اللغة التي تمثل ضميرًا جمعيًّا يسهم في تنمية التفاعل مع قيم المجتمع وأحداث التاريخ والسياسة والاقتصاد والاجتماع والتعليم وغيرها.

ولئن كان لهذا البحث جانب ثقافي علميّ فهو يمد بصلة إلى الجانب الاقتصادي الاستثماري أيضًا؛ لأنه يجب علينا في ظل هذه الظروف العالمية الجديدة أن نجعل لغتنا العربية تتفاعل مع هذه الظروف في شتى الميادين والاتجاهات. واستثمار الدول في المعرفة والمعلومات يزداد من خلال الصرف على التعليم والتدريب والتطوير في القطاعين العام والخاص؛ لأن الاستثمار في المعلومات أصبح أحد عوامل الإنتاج؛ فهو يزيد في الإنتاجية كما يزيد في فرص العمل.

ويتناول هذا المبحث مطلبين كما يأتي:

1 – البيئة الاستثمارية لمشروعات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها:

تشجع البيئة الاستثمارية الجيدة إنشاء المشروعات الناجحة، ويمكن أن ينطبق ذلك على مشروع تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. فمن خلال هذا المشروع يمكن استغلال مدخلات كثيرة، تتمثل في: خَلْقِ فُرَصِ عَمَلٍ لمعلمي اللغة العربية، واستثمار مراكز التدريب في تأهيلهم تربويًّا وإكسابهم المهارات الحديثة في تعليم العربية، والعمل على تأليف الكتب والمقررات الدراسية مما يوفر أعمالا للمؤلفين والعاملين في مجال الطباعة، وما يتبعها من تشغيل رؤوس الأموال، وشراء المواد الخام الخاصة بالطباعة، كالأوراق والأحبار، والماكينات وغيرها. كل هذا بالإضافة إلى تشغيل خدمات محلية موازية كالتأمين، والمصارف، ووسائل النقل، وغير ذلك.

وإذا انتقلنا إلى جانب الطلبة الذين يريدون تعلُّم اللغة العربية في البلاد العربية فإننا سنجد – بالإضافة إلى تعليمهم اللغة ومهاراتها، والثقافات العربية الموازية والملائمة – أنهم يسهمون في إدخال العملة الصعبة (كالدولار، أو اليورو مثلا) إلى البلاد العربية على اعتبار أنهم سائحون، وتستفيد منهم جهات كثيرة بَدْءًا من خدمات المطار ومستلزمات السفر، ومرورًا بخدمات المعيشة داخل البلاد، واستثمار قطاعات السياحة، وانتهاءً بالسفر إلى بلادهم، وتشجيع غيرهم على إعادة إنتاج تجربتهم الشخصية في السفر إلى البلاد العربية لتعلُّم اللغة العربية التي يمكن أن تفيدهم في بلادهم، حيث العمل في وزارة الخارجية، أو القطاع السياحي، أو الترجمة،أو تعليم اللغة العربية في بلادهم، أو الإعلام، أو القطاع التجاري والاقتصادي، أو غير ذلك مما يتطلبه سوق العمل.

ولكي يُنَفَّذ هذا المشروع بنجاح لابد له من الإخلاص في العمل، وحُسْن التخطيط الإداري والمالي، واختيار أكفأ المدرسين وأحسن المقررات الدراسية، والتركيز على المهارات اللغوية الأساسية، ومراعاة احترام ثقافات، وعادات وتقاليد، وديانات، وتوجهات الطلبة الوافدين.

إن مشروع تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في بلادنا العربية يمكن أن يرتبط مع البيئة المحلية في علاقة تعتمد على جوانب متعددة، منها[28]:

أ – ما يتعلق بالبيئة الطبيعية والتكاليف المرتبطة بها، مثل: تكاليف بناء المؤسسة التعليمية، وتكاليف النقل والإنارة، والأثاث، والاتصالات، والمطابع، والأدوات الكتابية والوسائل التعليمية، وغيرها.

ب – ومنها ما يتعلق بالنواحي الاجتماعية والثقافية التي تهدف إلى إمكانية قبول المجتمع للمشروع، والمتعلمين فيه، ومدى مشاركاتهم في الأنشطة الاجتماعية والثقافية، ونُظم الدعاية والحوافز والتأهيل.

ج – ومنها ما يتعلق بالنواحي الاقتصادية؛ إذ تمده البيئة الخارجية بما يتطلبه المشروع من أموال ونقد، وأي موارد أخرى لتحقيق الأهداف المرجوة، مع القدرة على مواجهة عوائق المنافسة.

إن مما يشير إلى نجاح تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها توفر كل متطلبات هذا المشروع في بلادنا وبيئتنا العربية مع قلة التكاليف، بالإضافة إلى زيادة (حجم الطلب) الفعلي والمتوقع في السوق اللغوية العالمية. والعرب – ولا أحد غيرهم – هم الذين يملكون المادة الخام (اللغة العربية)، ورأس المال الأساس (المعلمون والمعلمات)، ولا مجال للمنافسة العالمية في هذين العنصرين. وهم الذين يملكون تسعيرة المنتج (الطالب المتعلم). ومن المتوقع نمو هذا المشروع ونضجه، وعدم انحداره بسهولة. وإذا نافس العربَ غيرُهم فإن العرب هم الفائزون؛ لأنهم ينطلقون من منطلق ديني في حقيقة الأمر، حيث إن العربية لغة القرآن الكريم، واللغة الأساس للشريعة الإسلامية، ولغة الهُوية العربية والتمسك بالجذور، وأما الآخرون فإنما ينطلقون من منطلق المنفعة المادية ليس غير.

2 – بعض المشروعات العملية الاستثمارية في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها:

لن تنهض أمة من الأمم بغير الاهتمام بلغتها، واللغة العربية خير معين للعرب لكي ينهضوا ويسابقوا الأمم الأخرى التي تعمل ليل نهار من أجل نشر لغتها وتسيير عجلة نهضتها القومية. واللغة العربية تعد – بحق – أساسًا مهمًّا من أسس النهضة الشاملة في البلاد العربية لملاحقة تطورات العصر، والانفكاك من التبعية بكل أشكالها: الثقافية، والفكرية ، والاقتصادية، والسياسية، وأنها حلقة الوصل بين الدول العربية التي تسعى إلى التنمية الشاملة في كل المجالات الأمة العربية، وتجعلها أكثر تماسكًا والتحامًا، وتمنحها القوة والمنعة من خلال استخدامها في كل مجالات الحياة المعاصرة، بما في ذلك التعليم بكل مراحله واختصاصاته. واللغة العربية ليست مجرد آلية للتواصل والحوار، بل تعد منتجة للمعرفة، وكما تحقق اللغة تواصلا حضاريًّا واجتماعيًّا بين متحدثيها ومتعلميها فإنها كذلك يمكن أن تحقق توازنًا اقتصاديًّا وماديًا وماليًّا، ويتوجب على أهلها استثمارها في هذا المجال المعرفي الاقتصادي لمواكبة كل التغيرات العالمية في جميع المجالات.

إن تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها يعد خير مُنتِجٍ للصناعة اللغوية التي يمكن أن تزدهر في ظل إعادة رسم مخططات التنظيمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية العالمية. والاستثمار في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالأحوال السياسية والصراعات الدولية والإقليمية، ويؤيد ذلك إقبال الطلبة الأجانب الذين يريدون تعلم العربية على الدول العربية الآمنة والمستقرة، وفرار كثير منهم من الدول العربية التي حدثت فيها قلاقل سياسية وسادتها الثورات والصراعات المحلية مما جعلها أحيانًا غير آمنة.

وفي هذا الإطار فإني أقترح على البنك الإسلامي للتنمية رعاية مشروعات تعليم اللغة العربية القائمة[29]، أو تقديم المنح الكثيرة لطلبة الدول الإسلامية غير العربية لدراسة اللغة العربية في البلاد العربية، أو إنشاء المدارس الإسلامية، أو المعاهد والمراكز المتخصصة في هذا المجال في هذه الدول الإسلامية غير العربية كما تفعل الدول الأجنبية التي تقيم في البلاد العربية معاهد كثيرة لتعليم لغتها لغير أبنائها، ويعد هذا الأمر استثمارًا جيدًا للبنك في مجال تعليم العربية، وهو مجال يتسم بالحركية والديمومة والصيرورة، كما أنه يفتح مجالا ناجحًا للمستثمرين في هذا المجال؛ لأنه سيكون قدوتهم.

ويقع على جامعة الدول العربية، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، ومكتب التربية العربي لدول الخليج، واتحاد الجامعات العربية، ونقابات المعلمين، وجمعيات حماية اللغة العربية- العبء الأكبر في التخطيط لمشروعات تعليم اللغة العربية لأبنائها ولغير أبنائها، فيمكن لهذه الجهات رعاية المؤسسات الموجودة حاليًا، أو إنشاء مؤسسات حديثة تتوافق مع تقنيات العصر الحديث، وتأخذ بأرقى الطرق والوسائل التدريسية والتعليمية في تعليم اللغات الأجنبية لغير أبنائها.

إن مشروع إنشاء معاهد لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، أو ممارسة هذا النوع من تعليم اللغة العربية ملحقًا بأقسام اللغة العربية وكلياتها في جامعاتنا يتطلب عملية صناعية متكاملة، تشمل: إنتاج المعلمين، وتأليف الكتب والمعاجم[30]، ودُور الطباعة والنشر، وناشرين محترفين، واستديوهات تسجيل مواد سمعية وبصرية، وشركات لإنتاج الأنشطة اللغوية المصاحبة والمساندة للعملية التعليمية، وغير ذلك. ومن هنا يمكننا أن نحصل على فرص عمل متعددة للمعلمين والعاملين والمهنيين الذين ينتسبون لهذه المجالات[31]. ومشروع إنشاء هذه المعاهد إنما يضم في الحقيقة عدة مشروعات استثمارية في مجال اللغة العربية، وأتوقع لها – بإذن الله – نجاحًا عظيمًا؛ لأن تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها لابد له من مستويات تناسب أحوال المتعلمين والدارسين وكل مستوى يحتاج إلى متطلباته الخاصة من المعلمين والكتب والمعاجم والأنشطة اللغوية المساندة

الخاتمة والتوصيات

لقد جسّم هذا البحث – على صغره – الملامح العامة لموضوعه، وهو: (الأغْرَاضُ الاقْتِصَادِيَّةُ وَ الاسْتِثْمَارِيَّةُ فِي مَجَالِ تَعْلِيمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلنَّاطِقِينَ بِغَيْرِهَا)، وأشار إلى أن هذه الأغراض الاقتصادية قد أصبحت من أهم الأمور في هذا العصر الذي يموج بالتكتلات على الأصعدة كافة، والذي يُنظَر فيه إلى كل شيء بمنظار ذي قيمة مالية مادية اقتصادية، ويجب الاهتمام به لما له من دور واضح في تحقيق التنمية الاقتصادية للأمة العربية، ورفع مستوى الكفاية الإنتاجية فيها. وحاصل ما أفضى بنا إليه بحث: (الأغْرَاضُ الاقْتِصَادِيَّةُ وَ الاسْتِثْمَارِيَّةُ فِي مَجَالِ تَعْلِيمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلنَّاطِقِينَ بِغَيْرِهَا) عدة ملاحظات أو نتائج، منها:

1 - ليس الجانب الاقتصادي أو الاستثماري في اللغة العربية جديدًا عليها؛ فقد كانت المنطلق الاقتصادي في كل تحركات العرب قديمًا، قبل الإسلام وبعده. وقد تأثرت آدابهم بهذا الفكر الاستثماري.

2 – أغراض تعليم اللغة العربية كثيرة ومتنوعة، ومعرفتها مهمة في رسم الخطط التعليمية، ووضع الأهداف الدراسية، ويعد الغرض الاستثماري من أهم هذه الأغراض في العصر الحالي الذي يجعلها تحيا وتستمر؛ وهو من إفرازات المعرفة الإنسانية المتجددة.

3 – لن تنهض أمة من الأمم بغير الاهتمام بلغتها، واللغة العربية خير معين للعرب لكي ينهضوا ويسابقوا الأمم الأخرى. خاصة وأن لغتنا العربية لديها القدرة على الاستجابة والتطور لملاحقة متطلبات الخطاب التقني والعلمي والأدبي.

4 – هناك مجالات كثيرة للاستثمار في اللغة العربية، منها: تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وتأليف الكتب والمعاجم، وإنتاج المواد اللغوية المصاحبة والمساندة لعملية تعليم اللغة العربية،... .

وتوصي هذه الدراسة بضرورة الاهتمام بالاستثمار في اللغة العربية، وخاصة في مجال تعليمها للناطقين بغيرها، وأن يرعى البنك الإسلامي للتنمية مشروعات تعليم اللغة العربية، وتتآزر معه جامعة الدول العربية بكل مؤسساتها ومكاتبها ومنظماتها.

وأني شاكرٌ مَن يطلعني على عيب أو ينبهني لإصلاح، فما يزال الإنسان بحاجة إلى من ينبهه ويصلح عمله. والله المستعان ومنه الأجر والمثوبة. والله أسأل أن يجعلنا أبدا مفيدين مستفيدين، ويرزقنا الإخلاص والسداد في القول والعمل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الإمارات العربية المتحدة، الشارقة، في:15 من ربيع الآخر 1435هـ
15 من فبراير 2014م.
د. فكري النجار

الـهـوامـش والـمـصـادر والـمـراجع

[1] - الشعر والمال (بحث في آليات الإبداع الشعري عند العرب منذ الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث الهجري)، د. مبروك المناعي، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، ط/1، 1419 هـ - 1998م، ص: 719-720.

[2] - الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، طبعة دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م، ج16، ص: 308. وانظر: نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار، لعبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن درهم (المتوفى: 1362هـ)، دار العباد – بيروت، لبنان، ص: 2.[المكتبة الشاملة، والكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع]

[3] - انظر: الشعر والمال، سابق، ص: 557.

[4] - الأغاني، سابق، ج 19، ص: 230.

[5] - انظر: الشعر والمال، سابق، ص: 43. وأسواق العرب في الجاهلية والإسلام، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (ت: 1417هـ)، ص:147 وما بعدها.

[6] - أسواق العرب، سابق، ص:11. ويشير – رحمه الله – إلى أن العرب كانوا يفسرون كثيرًا مما ينزل على الرسول – صلى الله عليه وسلم – تفسيرًا ماديًّا اقتصاديًّا، ومن ذلك قوله تعالى: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[الأعراف: 188]، فالمفسرون يذكرون في سبب نزول الآية أن المشركين قالوا: "لِمَ لا يُوحِي إليه ربُّه أثمان السلع فنشتريها حين ترخص ونبيعها حين تغلو, فتزداد أموالنا؟ ".انظر: أسواق العرب: ص: 28، وص:91، وص: 95 وفي هذه الصفحة قول الجاحظ:" "وبالتجارة كانوا يعرفون؛ ولذلك قالت كاهنة اليمن: "لله در الديار، لقريش التجار" وليس فوقهم قرشي كقولهم هاشمي وزهري وتميمي؛ لأنه لم يكن لهم أب يسمى قريشا فينتسبون إليه, ولكنه اسم اشتق لهم من التجارة والتقريش".

[7] - انظر: السابق، ص: 85 وما بعدها. وص: 100 وما بعدها. وص: 172 وما بعدها. وص: 181 وما بعدها.

[8] - انظر: تعليم النحو العربي، د. علي أبو المكارم، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط/1، 1428هـ - 2006م، ص: 29، وما بعدها.

[9] - أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، سابق، ص:10.

[10] - السابق، ص: 33، 34.

[11] - اللغة والاقتصاد، تأليف فلوريان كولماس، ترجمة د. أحمد عوض ومراجعة عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة (رقم 263)، الكويت، نوفمبر 2000م، ص: 95.

[12] - تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى: أسسه، مداخله، طرق تدريسه، د. محمود كامل الناقة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1405هـ - 1985م، ص: 21.

[13] - المرجع في تعليم اللغة العربية للأجانب من النظرية إلى التطبيق، د. فتحي علي يونس، د. محمد عبد الرؤوف الشيخ، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/1، 1423هـ -2003م، ص: 21.

[14] - انظر منتدى مجالس الفصحى لعلوم اللغة العربية وآدابها في:www.alfusha.net/t1631.html الجمعة 2014/2/14م، الساعة 10 م.

[15] - انظر بحث: استراتيجيات تعليم العربية للناطقين بغيرها تعليمًا حضاريًّا (مقاربة أولية في: المشكلات والحلول)، د. محمد عبد الفتاح، في كتاب: العربية لغة القرآن: الواقع وسبل النهوض، د. رشاد محمد سالم، وغيره، مركز الأمير عبد المحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط/1، 1429هـ - 2008م، 81، 82.

[16] - للمزيد انظر: برامج تعليم العربية للمسلمين الناطقين بلغات أخرى في ضوء دوافعهم، د. محمود كامل الناقة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1406هـ - 1985م، ص: 30 -33.

[17] - انظر: الاقتصاد المعرفي، د. مصطفى يوسف كافي، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، الأردن، ط/ 1، 1434هـ - 2013م، ص: 34، و36، 56.

[18] - انظر: www. Alnabanews.com، الاثنين 2014/2/10م، الساعة 9م.

[19] - انظر: www.elaph.com، الاثنين 2014/2/10م الساعة 10:30 م

[20] - انظر: اللغة العربية وسؤال المصير، د. نهاد الموسى، مركز الإمارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية، سلسلة محاضرات الإمارات، رقم 159، ط/1، 2013م، ص: 19، 20.

[21] - انظر: الوضع الراهن واحتمالات المستقبل، د. محمد متولي غنيمة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط/1، جمادى الأولى 1417هـ - أكتوبر 1996م، ص:13، وص: 43.

[22] - الاقتصاد المعرفي، سابق، ص: 16.

[23] - انظر: تعلُّم اللغة العربية عبر الشبكة العالمية، إبراهيم سليمان أحمد مختار، مركز البحوث، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، الطبعة الأولى، 2006م، ص: 15 – 18.

[24] - لتعميم الفائدة انظر: تعلُّم اللغة العربية عبر الشبكة العالمية، إبراهيم سليمان مختار، مرجع سابق.

[25] - انظر: الاقتصاد المعرفي، سابق، ص: 24، 25.

[26] - انظر: اللغة والاقتصاد، سابق، ص: 95، 96.

[27] - انظر:اللغة والاقتصاد، سابق، ص:86. والانحراف الدلالي في النص العربي المترجم آليًّا عن الإنجليزية: مظاهره، وآثاره، د. أحمد راغب أحمد، دار العالم العربي للنشر والتوزيع، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط/1، 1430 – 2009م، ص: 9.

[28] - أفدت في هذا من كتاب: الجدوى الاقتصادية للمشاريع الجديدة، بدر جاسم الفيلكاوي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، إدارة الثقافة العلمية، ط/ 1، 2002م، ص: 15 وما بعدها.

[29] - انظر هذه المشروعات في: المرجع في تعليم اللغة العربية للأجانب...، سابق، ص: 21 – 38.

[30] - إن المعاجم هي الحجر الأساس للتهذيب اللغوي، وبهذا ا لمعنى فهي عبارة عن استثمار ما دامت تزود اللغة بخاصية « القوة الوظيفية للغات الثقافة الحديثة». انظر: اللغة والاقتصاد، سابق، ص:91.

[31] - فكرة هذه الفقرة مأخوذة من: اللغة والاقتصاد، سابق، ص: 97.